أشرف خليل

متى تتزوجني؟!



متى تتزوَّجني ؟!

قصص قصيرة



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، ف : ٣١٤٨٠٤٢

أشـرف خليـل

متى تتزوّجنى ؟!

قصص قصيرة



الكتاب : متى تتزوجني ؟!
قصص قصيرة

الكاتب : أشـــرف خليـــل

الناشر : مركـز الحضـــارة العربيـــة

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠١

رقم الإيداع ٢٠٠١/١٦٢٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N.977-291-283-X

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : صفـــــاء الشريـــف
تصحيح : زكـــــريا منتصر

إهداء

إلى الأستاذ / **نجيب محفوظ**

أعتذر عن جرأتى فى أن أهدى إليك

هذه الأوراق ..

أشرف خليل

موكب وداع

كم تباعدت المسافات بيني وبين قلبي ، كأنها تعدّت المسافة بين كوكبي الأرض والمريخ ، وما ساءني حقًا أنني لم أكتشف ذلك أو لربما كنت أتجاهله ، وحينما صدمتني الحقيقة تيقّنت أن العودة قد باتت مستحيلة .

باغته بسؤالي : أعطني عنوانًا لهذا الزمان ؟

لملم نظرة ذاهلة .. وأطرق . أردفت يائسا

- ألن تشارك معنا في موكب وداعها ؟

مروّعة استفسرت نظراته ! استطردت قائلا

- ألا تعلم أنها باتت في الرمق الأخير ؟ . والعريب حقًا أنها حتى وهي تنازع سكرات الموت تعصف بكل ما حولها حتى كأنما لم يبق مكان على وجه الأرض إلا وتركت فيه أثرًا نافذًا . صارخًا :

- من تكون ؟ !

- الألف الثانية بعد الميلاد .

متوجسًا انتفض وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة .

متشبّثًا بذراعه :

- نحن البشر محظوظون حقًا .. نعيش لحظة متفرّدة في عمر الزمان.. لحظة نادرة فاصلة لا تتكرر إلا كل ألف عام.. لحظة هائلة .. لحظة رحيل وميلاد.. رهيبة تلك اللحظة . وإني لأتساءل كيف شعر من شهد تلك اللحظة منذ ألف عام مضت ،

عندما رحلت الألف الأولى ، وأشرقت الثانية ؟! بل إنني لأتساءل إذا قُدر لهذا الكون أن يشهد رحيل الألف الثالثة فكيف يكون شعور بشر ذلك الزمان ؟ .. لحظات غيبية غاية فى البعد .. غاية فى الغموض .

أى لحظات تلك التى نحياها ؟ .. كيف مضى ما مضى ؟ وأى قادم ذاك الذى يجىء ؟ لا تتركنى صديقى .. وأعطنى عنوانا لهذا الزمان ؟ وهل حقا مضى زمان القلوب ؟!

منذ متى كف القلب عن النبض ؟ .. ومنذ متى نحيا ولا نحيا ؟!

فى زمن بعيد .. موغل فى البعد .. تلألأ القلب بالحب ، عيون تشرق فتغرب الشمس ! .. ابتسامة تلمع فتتوارى النجوم ، صوت آسر تصغى له أنفاس الطبيعة .. إعصار يعصف .. يزلزل .. يرتج له القلب ويصرخ .. يتأوه .. يستعذب الألم ويستمرئ العذاب . هل أشقانا الحب ؟ .. هل أسعدنا ؟!

فى زمان القلوب .. لوّعنا الحب .. أسعدنا وأشقانا .. أضحكنا وأبكانا ، ومضى زمان القلوب .. ولازالت نظرتها تتوثّدالقلب كمستقر أبدى ، ووجدتنى غير قادر على حمل قلب تحوًل إلى شرنقة لنظرة حانية عاتبة ذاهلة محبّة .. فابتعدت وتهت وتباعدت المسافات بينى وبين قلبى ، وأصبح ما يربطنى به نظرة عين باتت كشىء قدرى .. لا محالة ..

كيف بات الحب .. وكيف أصبح ؟

قالوا : الزمان الآن ليس للحب .. وانخدعت وتساءلت :

- أيكون وهما ؟ .. وهل كان الحب وهماً ؟!

كنت أحسب ساعتها أن العمر قد يتسع لحب آخر ، وأن القلب الذى دق مرة يمكن أن يدق مرات . وضحيت بالحب وأنا لا أعرف أني أضحي بالقلب ، ومضى زمان الحب ، ورحل معه القلب .

قالت : قد أتزوّج مرة .. أو عشر مرات ولن أنساك .

ونسيتْ ولم أنس .

فى القلب نظرة لا تبرحه .. أشعة العين نافذة كشيء هائل ساحر ، أعبر قارات العالم ولا تبرحه .. آلاف من العيون والنظرة كما هى لا تبرحه ، وسنوات العمر تمضى ، والنظرة فى القلب كتكوين ثابت .. والعالم يتغيّر .. يتبدّل .. والنظرة فى القلب ساكنة ، وأنت بلا حب .. فأنت بلا قلب !

آه يا زمان القلوب .. كيف كان اللقاء ؟ وهل العمر إلا من لحظات واعدة متوهّجة .. لحظات تمتلك فيها الحياة .. ويتسع قلبك للكون والسماء والنجوم .. آه من سحر النظرات .. وعبير الأنفاس .. ولهفة الشوق .. وروعة الصمت .. آه عندما تحب ، ويتحول الوجدان إلى نبع متدفّق يمدك بفيض من سعادة بلا آخر ، وآمال بلا حدود .. هل جرّبت يوماً أنك أسعد من فى هذا الكون ، وأنك تملك ما لا يملك البشر ، وأنك تخطو فى الهواء .. تطير ، وتسبح .. تغنى فيك الكلمات ، وترقص المشاعر ، عندما تتعانق الأنفاس ، وتحتضن القلوب ، وتمتزج المشاعر ، وتغيب فى لحظات من التصوُّف .. كم عمر الزمن ؟ .. كم مضى ؟ .. كم تبقّى ؟ .. تسقط حسابات الزمن

وتتبدّل الحياة .. يد ساحرة تصبغ الكون بلون وردى مشرق .. شعاع ساحر يمسح الحياة فتنضوى فى سحره .

آه يا زمان القلوب كم بقي منك .. وكم مضى .. والعالم بأسره لا يملك أن يعيد منك ما مضى . وإلا فهل جربت يوماً أن تعيد لحظة مضت ؟!

آه يا زمان القلوب .. آه من ساعات الانتظار .. خوف وشوق وترقُب . تسقط الحياة من حولي ، وتتناهى الموجودات في الصغر ، وتخلو الحياة إلا من وقع أقدام ينتظرها قلب واجف .. قلق ثائر ، يضيق عليه محيط الصدر ، وتتركز المشاعر كلها ، ويقف الزمن في انتظار شعاع يطل من العين فيفيض بسحره على الوجود ، وينتفض القلب ظافراً مهللا ، وتصطبغ الحياة كلها بعبير وردى آسر .

آه يا زمان القلوب ، منذ متى جئت ؟ ومنذ متى ولّيت ؟ وأنت والقلب والحبيب رموز خالدة لمعنى الحياة والوجود

آه يا زمان القلوب .. منذ متى كان اللقاء ؟ ومنذ متى كان الفراق ؟

لكأنك تتذكّر الميلاد والممات .. وليمض العمر ما مضى ، فقد وُلد القلب ومات .. وهل تخلو الحياة ممن يعيش بنبض صناعى ؟!

وآه يا زمان الأوجاع .. كل ما فيك يشقى ولا يسعد ، حتى فى اللحظات التى تخلو فيها من شقاء ؛. فأنت أبداً لا تسعد !

آه يا زماناً ولّى ولن يعود .. وأنت عندما تستعيد الذاكرة ، فأنت دوماً لا تفعل إلا أنك تسترجع كلمات هى أعذب ما تحوى

الذاكرة . هل استشعرت جمالك وعظمتك ؟ هل استشعرت أهمية وجودك ؟ وأنك أهم من فى الحياة ؟ . . إذًا فأنت تملك قلبًا يحبك .

والعذوبة ابتسامة تشرق من العين قبل أن ترتسم على الشفاه ، والسحر جمال كامن وراء نظرة صافية ، والفتنة براءة طاغية ، والقلم قد يعبّر بصدق عن كل الأشياء ، وعندها يقف على الورق عاجزًا خجلاً ، فالمشاعر من فرط حرارتها لا تعبِّر عنها الكلمات ، ونبضة القلب الصادق ، مجلدات تحوى كلمات العالم قد لا تعبِّر عنها ! . . لا تنقل صدق الحدث كما وقع .

أحببت فيها كل شىء قد تراه أو لا تراه . . أحببت الأنامل والأظافر ، ومنبت الشعر وفوضويته ، أحببت الخطوة والنظرة ، أحببت لون الشفاه وملمس الخدود ، أحببت عفوية الكلام والسكون ، أحببت بياض العين وحركة النن فى كل الاتجاهات ، أحببت كل ما هو إرادى ولا إرادى ، الملامح والقسمات ، كل ما هو ظاهر وخفى ، كل ما هو محسوس وغائب ، مرح الكلمات ، صمت العتاب ، إغفاءة الأهداب .

أحببت ما فى القلب والصدر ، أحببت الأوردة والشرايين ، وأنفاس الصدر والنبض ، أوَ خلقك الله كى أحبك ؟! أحببت فيك أنت ، وفى الكون كله لا يوجد منك إلا أنت .

وأنت يا صديقى عندما يضيع منك الحب . بكم تشتريه ؟!

وإنى لأتعجب كيف تمتلك يومًا أغلى ما فى الوجود . .

وتفرّط فيه ! فليمض إذًا يا صديقي زمان القلوب ، ولتتابع الأزمنة ، ولتأخذني الحيرة والندم ، ولأصارع جنوني بلا رحمة .. تائه .. واهم .. أعيش زمانًا بلا معنى ، وأحيا مع ماض مات ، ولا أملك إلا أن أشارك في تشييع جنازة الألف الثانية بعد الميلاد ■

نجاة عصفور

هل كانت المصادفة وحدها هي المسئولة عن وجودى فى هذا المكان في ذلك الوقت ؟ .. لا أعرف تمامًا غير أننى كنت مسوقًا إليه بدافع مجهول ، أو أن قوة غيبية كانت تدفعنى إليه رغم ابتعادى عن المكان فترة غير قصيرة . وهالنى منظره المروع وهو يرفع جناحيه ويخفضهما في تباطؤ كأنه يحمل عليهما ثقلاً غير منظور .

بُهتُّ ، وأخذنى الذهول ربما لأننى لم أتوقع وجوده فى هذا المكان وعلى هذا الوضع ، لأننى على يقين أن النافذة بالرغم من أنها مفتوحة إلا أن هناك شباكًا محكمة من السلك بأبعاد النافذة مثبّتة عليها من الخارج . لكن ذهولى ما لبث أن تبدّد بعدما أبصرت فتحة صغيرة فى أقصى الشمال الشرقى من الشباك وحدست أنه قد انسل منها .

دنوت منه ، فوجدت أنامله محشورة بين مفصلتى النافذة المتزاوجتين.

لا أعرف كيف حدث هذا ؟ .. بل لا أعرف كيف يمكن أن يتم هذا .. إلا أننى وجدت خيوطًا رفيعة من الدم المتجمّد منقوشة على الحائط . إذن لابد أن المسكين قد مضى عليه زمن غير قصير وهو على هذه الحال . وأبدًا حاولت تخليص أنامله من بين مفصلتى تثبيت النافذة إلا أننى لم أنجح تمامًا .. والمسكين لم يكف عن محاولاته اليائسة فى تخليص نفسه.

ووجدت أن حركاته بدت أكثر هدوءًا ، وأن محاولاته قد

كُـفت . بل وجـدته في شـبـه سـكـون شـامـل .. أهي سـكرات الموت ؟! .. أهي اللحظات الأخيرة قبل السكون الأبدى ؟!

واعـتـراني شـلل تام ، وأحـسـسـت بفـداحـة الموقـف .. وأنني يجب أن أنقـذ المسكين في أسـرع وقت ممكن .. وأن مـصـيـرى مرتبط بمـصـيـره .. وأن الحيـاة باتـت معلّقـة من أجل تـخليص هذا الكائن الحي .. وأن وجودى غير ذى قيـمة دون حريته .

ونظرت في عينيـه .. وغبت في مـسـافات الحزن المترامية بلا حدود .. وأحـسـسـت وكـأن عينيـه الصـغيـرتين تكبـران بصـورة هائلة كأني أبصرهما من تحت مجهر مكبِّر لأقصى مدى . كانت نظرته مترعة باليأس ، فياضة بالحزن .

وأحـسـسـت أن نظـراته تدينني والعـالم من حـولي ، وأن حـجم معاناتي التي ما فتئت ألوكـها في كل وقت شيء يدعو للسـخرية بجـانب مـعـاناتـه ، وأني وحـدى لست المطحـون في هذا العـالم ، واسـتـخـفـفت حـجـمي ولوني ، ولسـاني ويدى ، وجـبـروتي في سـاعـات الضـعف ! .. وتقـيّـأت عـمـرى الذى ولّي ، ونظـرتي للحياة والبشـر ، ومفهومي للأشياء والأحداث ، وأحـسـسـت معه بالحـرج الشـديـد ، واسـتـصـغـرت شـأنـي وشـعـرت بـخـجـل حقيقي .

وانتـابتني رغبـة في الدفـاع عن نفسي .. كأن أصـرخ وأقـول : إني لست السـبب في مـعـاناتك ، وإنني مـثلك مـقـيّـد مـسلوب الحـركة والإرادة ، وإن العـالم على اتسـاعـه أصـغر من أن أنطلق في رحابه ، وإن نظراتك سكّين يقطِّع نياط قلبي تقطيعًا ، وإن الموت دون الحياة أهون من النظر في عينيك .

وعبثا حاولت زحزحة ضلفة النافذة عن المفصلة الثابتة لكنها لم تستجب ، ومرارا كررت محاولاتى ، وأحسست به يتأوّه ، ووجدت عينيه تخضلان بالدموع ، وعرقًا غزيرا يتفصّد من جبينى .. بل جسدى كله ينزف ماء بغير توقف .

واحتدمت الأزمة ، وتأججت النار فى صدرى ، وتصاعد الموقف بصورة مطردة ، وبدا جسده فى شبه سكون كالموت . وأدركت فى اللحظة ذاتها أنى أحتضر ، أختنق بصورة رهيبة . وفى لحظة وبكل ما أوتيت من قوة .. وبكلتا راحتىّ دفعت النافذة فى اتجاه رأسى لأعلى لترتفع لمدى أوسع .. وتهوى لترتطم حافتها المدببة بجبهتى فى طريقها إلى الأرض . ورغم قطرات لزجة ساخنة سالت على جبهى وتعلّقت بأهدابى إلا أننى كنت مشغولا بمتابعة حركة طيران العصفور الذى مرق كأنه لم يكن ■

متى تتزوّجني ؟!

دائما تسأل .. وأصمت دائما . والملل لا تعرفه ، والانتظار في عينيها قابع لا يعرف اليأس ، والسؤال يلازمني كأهم عضو من أعضاء جسدى . متى تتزوَجنى ؟! الصمت ولا شيء غير الصمت يُجيب عن التساؤل .

منذ متى أصبح اليأس لا يتبعه إلا اليأس وحقائق التاريخ تؤكد غير ذلك ؟! وعلوم الفضاء أثبتت أن الكون فسيح ليس فى ذلك من شك .. إلا أنه يضيق بى . فى الخامسة من عمرى ، قال لى العرّاف بالحرف الواحد :

- لن تجد قوت يومك ، وستدفن أولادك بيدك

ولم ينبس بعدها . كانت كلماته ساكنة هادئة يتفوّه بها كحقيقة الموت التى لا تقبل الشك . واغتم أبى . ولم أفهم إلا أننى خفت وبكيت ولم يذهب الخوف يوما عنى فلا أزال خائفًا طول الوقت من لا شيء ومن كل شيء .

الحب شيء قدرى .. أعرف ذلك ، وإننى حقًا لأتعجب كيف نما الشعور وتعمّق وسط أتلال من الأحزان والأوجاع ؟! أى تناقض هذا الذى حدث !! وكيف تفسّر ظهور زهرة يانعة وسط قبور مبعثرة ؟!.

صديقى الطبيب كالثعلب المكّار . يرتدى عباءة الواعظ الحكيم ، ورأيه فى ذلك أنه لا يجوز لى مجرد التفكير فيها ، فشتان الفارق بيننا ، وطبيعة الحياة تفرض نفسها رغم ما يذاع عن المساواة والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وتكافؤ فرص

العمل .. فكل ذلك جميعًا لا شك فيه . نقوله ونبرهن عليه ، ونطبّقه بمشيئة الله في علم الله !

قال أيضًا إني لست خارقًا . ورغم أني طبيب إلا أن هذا يعتبر شيئًا تافهًا على أي حال . فما أكثر إفرازات الجامعات من أمثالي ! وما أكثر العاطلين والمتعطلين والمتزاحمين على ملاليم تُبعد شبح الجوع عنهم .

ولا أعرف بالتحديد لماذا ذكّرتني كلماته بزملاء الدراسة . محمد السيد الذي شاهد التفاح يومًا ، فسأل البائع عن سعر البنجر ! وقد حسبه كذلك ، ولم أنس تعبيرات البائع المهولة من سؤاله .

وأحمد صلاح الذي أصابه الهزال فلم يترك منه سوى أسنان بيضاء تضحك دائمًا بلا سبب !

ومصطفى عباس الذي نفث عن أفكاره العبقرية ، فترك نظام اليوم الواحد ، واستبدله بنظام اليومين ! فكان ينام يومين ويستقظ يومين كأنه يتحدى ناموس الكون ، حتى كاد يفصل من الكلية لكثرة غيابه ، فكان ينام الأحد مثلاً ليستيقظ الثلاثاء ، ويظل مستيقظًا للخميس ثم ينام ليستيقظ السبت ، وهكذا .. حتى اضطر للذهاب للطبيب سرًا .

حسبت أن قاموس اللغة قد خلا من كلمة تترجم شعوري نحوها . فالحب أول درجة من درجات الشعور ، وآخر درجة منه لازلت أبحث عن كلمة تعبّر عنها .

في لحظات الصفاء . تسبح عيني في بياض عينيها .. تتأمل صفاءها .. تتعمّق أسرارها .. تتعجّب سحرها ، والحسن

والجمال والروعة والفتنة .. كلمات تكتسب معناها من خلال عبيرها .

ويطول السكوت بيننا كأحلى ما في الوجود ، ويمتد الكلام ويطول كأنه الفضاء بلا حدود . في لحظات الجنون . يأخذ شهيقي من زفيرها ، وتستنشق من زفيرى ، ويضطرب الإحساس ، فيتحول الانفعال إلى ثورة تنفجر في الدماء ، وتمتزج الخلايا وتنصهر ، ويتحوّل الأمر كله إلى شيء خارق عنيف متفرِّد في الجنون !

في لحظات العقل يُلح السؤال ، ويُلح الصمت .

الواقع حقيقة مؤكدة كأقسى ما يكون ، ولا أعرف على وجه التحديد هل الجبن صفة موروثة أم مكتسبة ؟ غير أني بمنتهى الصدق جبان ! ألتمس أسبابًا وجيهة لجبني ، وعلام أتشجّع وأفخر وأزهو ؟! .. ورغم أني أتمثّل أبي وأحبه وأراه أعظم من في الوجود إلا أنه وللحقيقة كان يجبن أمام أمي رمز القوة والسطوة والجبروت ، وإنه ما استطاع يومًا أن يقف أمامها بأمر أو رأى . على الرغم من أن شحتة المكوجي الذى يقطن حارتنا كأحد مكوناتها قالها لها يومًا معقّبًا على أحد المواقف بينهما : لو كنت قاضيًا لبرّأت المتهم .. واتهمت البرىء ! وتصدّرت كلمات شحتة قمة الذاكرة ، واحترمت الرجل على شجاعته .

في طفولتي حدث أن زارنا حمار وصاحبه ! وأردت تسلُّق الحمار في غفلة صاحبه . ولم أستطع . غير أن الحمار كاد يرفسني . وشاهدت رجليه الخلفيتين وهما يرتفعان ويضربان

الهواء بمنتهى القوة . وخفت ، وجبنت . وكلما رأيت حمارا بعد ذلك نظرت إلى أذنيه الطويلتين فى إجلال وانبهار .

فى صباى أعطتنى أمى عصا ! وأجلستنى وسط الكتاكيت الصغيرة في حوشنا أحرسهم من القطط . وأحسست بالزهو وأنا أستشعر المسئولية الملقاة على عاتقى . وجلست منفوخًا وفى يدى العصا أحركها يمينًا ويسارًا متشوّقًا لاقتراب القطط حتى أدميهم بعصاى .

وكاد اليأس يتملكنى عندما لم تظهر أى من قطط الحارة إلا أن خيال أحد القطط قد لاح على أحد الأسوار القريبة من حوشنا الصغير ، واستيقظ الأمل داخلى وظهر القط ، وفرحت ، فلا شك أن هذا المسكين سينعم بعلقة ساخنة من عصاى . وأشفقت عليه . واقترب القط ، إلا أنه بوغت بى ، وتلاقت أعيننا فوجدت الخوف باديا فى عينيه ، خفت أن يلوذ بالفرار ، فجمدت مكانى مظهرا عدم اكتراثى به ، تشجّع ودنا ، ثم توقف ونظر فى حذر ، فواصلت إظهار ضعفى وعدم اهتمامى للكتاكيت من حولى حتى أتحيّن الوقت المناسب لأنقض على فريستى . وفى لحظة كالبرق انقض القط فى سرعة جنونية على أحد الكتاكيت واختطفه فى فمه وغاب كالشبح وسط ذهولى وعجزى والعصا لازالت فى يدى ، وتسربت الدماء من جسدى ، وضاع صوتى ، وبهتت الرؤية أمامى وأنا أرى هزيمتى الساحقة المروعة أمام القط الغادر ، وتكتّمت على الحدث . وعندما أحصت أمى الكتاكيت كانت ليلتى طويلة سوداء موغلة فى السواد .

وأصبح القط الغادر ، والحمار ذو الأذنين الطويلتين ، وشحتة المكوجي رموزاً حية نابضة تعيش معي .

قالت والحب يسبق حرارة كلماتها ، ونبرة عتاب : متى تتزوّجني ؟

عصر الأحلام كالأوهام ! والواقع فرض وحقيقة مؤكدة . والحب والخوف والحمار والكتكوت والقط والثعلب المكّار كلها تصطرع داخل كيان مرهق ووجدان منهك .

عبد الستار البقال أحد النماذج الساخرة في حارتنا . فهو يجيبك أحياناً إجابات غامضة غير شافية ، ولكنك حين تأخذ كلماته وتمعن التفكير فيها تجدها لا تخلو من حقيقة صادقة كانت غائبة عنك . ربما تكون فيها إجابة لسؤالك ! .. كلحن جنائزي يتكرر السؤال :

- متى تتزوّجني ؟؟؟

لازالت الحياة تصر إصراراً غريباً في إحكام قبضة الخوف حول عنقي . هل لم يعد فيها سواي ؟! هل ضاقت بغيري ولم تجد غيري تتبعني كظلي في إصرار حديدي لا فكاك منه ؟

وحتّام يستمر اليأس كوجه حقيقي للحياة يتعمّق وينتشر ويتصاعد بسرعة الضوء ؟ وإيلام يعكر القلق لحيظات من السعادة أو الوهم ! كحلم يداعب الزمن كل مليون سنة ؟! والقلب يشيخ وهو مازال يحبو ، والعمر يضيع في لحظة الميلاد ، وكل شيء خانق فاسد كسم قاتل ، والقلق عنوان حقيقي لحياة هامشية أتردد عليها .

حاصرتني بسؤالها وكان لابد من إجابة ، وشخصية عبد

الستار البقال تحتل بؤرة الشعور ورده المعتاد عن كل سؤال يبدأ «بمتى» : جاهز في الحال . وكان لابد من إجابة غير الصمت ، ولم يكن في ذهني غير إجابة عبد الستار البقال عن كل سؤال يبدأ بمتى .

وكررت .. متى تتزوجني ؟

وأجاب عبد الستار البقال في صوتي : في المشمش .

وذُهلتْ وذُهلتُ أنا الآخر ، فلم أكن أنا الذى أجيب .

وضحكتْ وضحكتُ وبكت وبكيتُ ■

العجوزوالعنزة

الأهداب ذابت بفعل السنين ، وأمتار معدودة هي كل ما يناله الشعاع الواهن من العينين المتعبتين . كم مضى من العمر ؟ .. ربما مليون سنة .. وربما بضعة أيام .

ولِم الحساب ؟! .. والحياة حقيقة ووهم . حقيقة للحظة نحياها .. ووهم للحظات ولّت ، وأخرى ربما لا تأتى ، وفى أكثر الأحيان نعيش الوهم !

بيمينها عصا تتوكّأ عليها ، وتهش بها على عنزتها وهى كل ما تبقى لها . عصا ، وعنزة ، وكوخ من الخوص ، ونظرج ذاهلة من عجوز شمطاء تقبع فى ركن من الكوخ تقبض بأنامل مرتعشة على عصاها .. تارة تداعب بها عنزتها .. وأخرى تقسو بها عليها .

قالت وهى تمرِّر راحتها على عنق العنزة : أما عن الجمال فقد كنت آية فيه ، وأما عن الحسن فكان علامة لى ، والصبا مضى ! منذ متى ؟ لا أعرف تحديداً ، لكنه مضى فجأة ، ربما عندما اكتشفت أنى عاقر .. وطردنى زوجى ، وتزوّج بأخرى ، ربما عندما أصبحت يوماً فوجدتنى أتجمّد من البرد والجوع .. أأكون كما قالوا مت وعدت ثانية للحياة !! .. هكذا قال لى من لا أعرفهم ويتردّدون إلىّ بين الحين والآخر .

كل صباح تخرج مع عنزتها ، متوكّأة عصاها .. هى للتنزُّه ، والعنزة لتأكل الحشائش المبعثرة بين قضبان السكك الحديدية .

فى المساء تتودّد إلى العنزة فتحلبها ، ويناما قريرى العين .

فى ذلك الصباح لسعها البرد ، فاستيقظت مبكراً عن موعدها ، وأيقظت عنزتها فاستجابت فى ضيق ، وخرجا سوياً . هى تسير فى تؤدة معتمدة على عصاها ، وعنزتها تسبقها ببضع خطوات تقرض الحشائش بين القضبان .

جاء هادراً من بعيد .. مخيفاً كوحش أسطورى من عصر الخرافات .. يزأر فى غضب ، ورغم أن العنزة بوغتت به إلا أنها تنبّهت .. ومرت لحظات قبل أن تتحرك من هول المفاجأة .. كانت العجوز خلالها تتجه إليها بقلب واجف ، وهى ترتجف من الخوف عليها . وهل تستطيع العيش بدونها إذا أصابها مكروه لا قدّر الله ؟! وقد أصبحت لها الأمل الباقى ! وبكل ما فى القلب من أسى وخوف وترقُّب ارتمت عليها كأعظم سبّاحة فى الدنيا بأسرها ، وما هى إلا لحظات وعجلات القطار تدور على القضبان ملتصقة بها عظام العجوز المهروسة . وصرخة مكتومة لم يُقدّر لها أن تخرج من صدرها . والعنزة على بعد خطوات تنتظر صاحبتها فى ذهول . وخبر صغير فى صفحة الحوادث بعنوان : «عجوز تحت عجلات القطار» ! ■

على الدكش

يأتي ومعه الخير ، ولم لا وهو يحمل سلة تحوى فيما تحويه جبنًا قريشًا وبيضًا .. تسبقه سعادة لا تحمل سببًا محددًا ! غير أن ابتسامة واسعة لم تفارق وجهه كلما وقعت عيني عليه . لا يتحدث كثيراً .. فقط تتسع الابتسامة حتى كأنها تبتلع مساحة وجهه . والرجل أسطورى ما فى ذلك شك .. فهو يعتز بما يحمل ، ويعتز أيضًا بابتسامته الواسعة ، ويعتز بسعادته المثيرة الملفتة ! يمشي ببطء كالسلحفاة .. لكنه يمشي مسافات طويلة ربما تمتد لعشرات الأميال . على أنى اكتشفت بعد ذلك أنه فى حياته لم يركب سيارة .. أو قطارًا ! وأنه على امتداد عمر مديد لم يستقل سوى ظهر حمار مرات معدودة فى مناسبات ربما تكون من وهجها لم تغب عن ذاكرته !!

هو «على الدكش» . هكذا سمعتهم ينادونه ، ولم أعرف ساعتها أكان «الدكش» اسمًا أم لقبًا أم نعتًا .. أم ماذا بالتحديد . غير أنى ولم أكن حينئذ أتعدى سنوات محدودة لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة أتذكّر الرجل !

كان اسم الرجل يتردد أمامي كشخصية عامة معروفة . ألم يأت «على الدكش» ؟! .. تأخّر «على الدكش» . كأنه فرد من العائلة .. بل من كل عائلة .

كنت أحب جلسته ، وابتسامته ، وكلماته القليلة . فى تؤدة يُفرغ ما فى سلّته فى إناء تعطيه أمي إياه ، وكأنه يخرج درراً ثمينة ! ثم يأخذ نقوده ويمضى راضيًا ، يترك خلفه شعوراً

مبهجا ، ولازال المكان يحمل رائحة جلبابه وأنفاسه .

تصورت ساعتها أنه لا يمكن أن تخلو حياة - أى حياة - من «دكش» كهذا وتصورت أنه يتردد على كل بيوت العالم ، وأن كل بيت له دورة عنده ، وأنه معروف .. محبوب . وحسدت الرجل على شهرته ! وأعجبت به أيما إعجاب . كانت نظراتى له مليئة بالإكبار والاحترام .

قال لأمى يومًا أنه يريد أن يتزوّج ! وضحكت أمى طويلاً .. وضحك هو الآخر سعيدًا .. وضحكت أنا الآخر سعيدًا بضحكهما .

لم أكن أعرف له زوجة أو ولدًا ، بل لعلنى ظننت أن لا عائلة للرجل فلم يتحدث يومًا عن أهل أو أقارب من أى نوع ، لكنه بدا هو نفسه كعائلة كبيرة .. كشجرة ذات فروع كثيرة !

وتبقى دائمًا تلك النظرة المطمئنة من عينيه الصافيتين .. وتلك الابتسامة الطفولية .. وتلك الثقة الكبيرة التى تشعر فيها أن الرجل يعرف كل شىء يدور فى هذا العالم . بل أنه - معاذ الله - يعرف ما قد يحدث !

لم أره يومًا عابسًا أو مقطبًا .. لم أره غيّر من طقوسه أو عاداته .. فى جلسته - التى غالبًا ما تكون على الأرض - فى نظرته .. فى ابتسامته .. فى كلماته القليلة . كأنه شريط سينمائى يتكرر فى كل مرة يأتى فيها لمنزلنا .

وذات مرة أفرغ «الدكش» كل ما فى سلته فملأ إناءين كبيرين . فاستكثرت أمى ما وضعه ، وقالت فى دهشة :

- كفاك يا رجل .. لما الكثرة هذه المرة ؟!

فضحك «الدكش» :

- مسافر !

مستنكرة قالت :

- إلى أين يا رجل ؟

كمن أراد أن ينهي الحديث :

- مسافر .. وخلاص !

وكان الرجل أحيانًا يهذى بكلمات غير مفهومة .. وربما اعتقدت أمي أن الرجل يهذى كعادته . وطال غياب الرجل !

ولما سئم أبى من إلحاح أمي فى السؤال عن الرجل قائلاً بأنه لا يعرف له مكانًا .. أخذ يسأل البيوت التى كان يتردد عليها .. وجاء لأمي ساهمًا : لقد مات الرجل .

ولم أتصوّر يومًا أن «الدكش» يمكن أن يختفي .. ولا يظهر .. وجدتنى أسأل أبى إمعانًا فى التيقُّن .. أتعنى أنه لن يأتينا ثانية ؟!

ونظر إليّ أبى بإشفاق .. قائلاً باقتضاب : لقد سافر .

وتذكّرت كلمات «الدكش» ■

فاتن العمر

فى ظلام اليأس تنتابنى رغبة ملحة للجنون ، ولما كانت الحياة فى مجملها تجنح للجنون ، ولأنى على علم بأن الفرق بين المرض النفسى والصحة النفسية هو فرق فى الدرجة لا فى النوع . فقد أيقنت حقًا أننى ربما أسير قدمًا نحو جنون مطلق ككل شىء مجنون فى هذا العصر الممعن فى الجنون .

رغم أن دبلة ذهبية تحتل إصبعها تعلن فى وضوح لا يحتاج إلى تأكيد عن خطبتها ، ورغم أنى فى سبيلى للزواج من أختها «سهام» التى تصغرها بنحو عامين إلا أن قلبى يثب من مكانه لرؤيتها . فهناك شعاع نافذ يمرق من عينيها المشعتين ليصيب فى مهارة بؤرة عينى . فيهتز القلب ويخفق لإصابة الهدف .

بعيدًا عن الزمن أصافح فى توهج أنامل كنسائم العبير إيذانًا ببدء رحلة تجمع ثلاثتنا . أنا وبمن سأتزوج وبمن يهتز قلبى لرؤيتها . وسيارتى الصغيرة تستعرض فى سذاجة إمكاناتها على الطريق . وفى المرآة ألمح ابتسامة عينيها والشعاع النافذ .

القلب أبدًا لم يعرف الكذب . إذن فهو صادق بكل معنى الكلمة . ومن ثم فهو حقًا يتلهّف عليها .. ينبض لرؤيتها .. أسير عينيها المشعتين كعنصر اليورانيوم المشع . والحديث بين اثنين ينساب كموج بلا شاطئ ، منذ متى أصبح العالم خاويًا إلا من وجه رقيق باسم ، وعينين ساحرتين ، وضحكة متلئلئة كزغرودة تخطف القلب ، والعين لا ترى سواها .. والقلب

أسـيـر هواها . . والعقل يسـتـريح . . ولأول مـــرة ينعـم بـهــدوء حالـم كأسطـورة خرافيـة في زمـان يخلـو من الأساطير .

- أحببت عـصـير البرتقال كحبى لكل شيء تحبـيـنه ، ولذا أقترح أن يكون البداية . أومأت في سعادة :

- وليكن .

رغم اعـتـراف مـؤكـد بأن الحـسـد صـفـة مكروهـة لا شك في ذلك . إلا أنه شـعـور يتعمق داخلي كلما دنا عـصـير البـرتقال من ملمس شـفـتـيـهـا الآسرتين ، وابتـسـامة عـينيـهـا تصبغ الحـيـاة بلون وردى مبهـج . والحياة على قـسـوتها لا تخلو من لحيظات سعادة حقيقـية كطيف حلم أحسب أنه بعيد المنال .

- في بداية الأمر تـصـوّرت أنك فنانة . ولما تعمّقت الصداقة بيننا تصـوّرت أنك يمكن أن تكوني ملهـمـة كل فناني العـالـم ، واسـتـطعـت بك أن أفـسّـر مـا غـمـض عليّ من مـعـاني الأدب والموسيقى والشعر . .

- رغم أني تعودت على مجاملاتك الكثيرة . . إلا أنك تبالغ .

- هي الحقيقية .

نسير قليلاً . . توافقوني ؟

حول حمام السباحة في النادى . . تعمدت أن أتوسـطهم وقد تشابكت أيدينا جميعًا .

في صـفـحة الماء يتلألأ الوجه المشرق كأعظم لوحات الإبداع الفني .

- «فاتن» . هل لى أن أسألك ؟ . . أومأت في حنان .

- أبدًا لم تكن اسماؤنا دائـمًا لتعبِّر عن ملامحنـا . . عندك

فقط أستطيع أن أقول أن ما من اسم يستطيع أن يُعبِّر حقًا عن دقائق ملامحك سوى «فاتن» . فهل حقًا كانوا يستشفون الغيب عند ولادتك ؟!

ضحكت كأنها لن تنتهي ، وكشفت ضحكتها عن مناطق جمال جذابة . تنبّهت لوجود «سهام» عندما بوغت بها تعلن في حسم أنه قد آن لنا أن نعود . نظرت في ساعتي . تسرّبت ساعات ثلاث كحلم مبهج يفوق في روعته كل آفاق الخيال .

ببسمة زاهية سلمتْ وتركتْ الشعاع النافذ وقلب يخفق .

وفي العودة اكتشفت أنني أخطأ الطريق . ربما لأول مرة ، وصوت عبد الحليم حافظ ينبعث من مسجل السيارة :

«يا فاتن العمر .. هل انتهى أمرى .. أخاف أن امشى في غربتي وحدى» .. أنت أيضًا يا عبد الحليم !!

آه من حكمة القدر عندما يعطي ويمنع .. يعطي من لا نرغب .. ويمنع عنا من نحب ونرغب !

في اليوم التالى . بوغت «بسهام» أمام مكتبى بالعمل على غير ميعاد بيننا .

- أنت تحب «فاتن» .. لطالما كذّبت حدسي قبل ذلك ، وتجاهلت الأمر ، وحدّثت نفسي على أن الأمر لا يعدو أن يكون اهتمامًا زائدًا مجاملة لي .. لا تنكر .

* ماذا تقولى ؟!

- بالأمس تأكدت من ذلك .. إنك لم تشعر بوجودى .. كل شيء تفعله يفضح حبك لها .. كلماتك .. نظراتك . إن عينيك لم تحد عنها لحظة واحدة .

* خيالات .. أوهام ..

- أبدا ليست أوهاما . وعلى كلٍ فقد واجهت «فاتن» ولم تستطع أن تنكر .

* تنكر ! .. تنكر ماذا ؟!

- أنها تحبك .

* أحقًا تقولين ؟! .. أقصد أنها ربما تكون واهمة ؟

- هي اعترفت ..

* إن سفر «طارق» خطيبها للخارج ربما عمّق إحساسها بالوحدة .. وربما كان هذا سببًا كافيًا لأحاسيسها المضطربة .

- لقد قالت أنها تحبك قبل أن ترتبط به ولم تكن تعرف ، وأنها بعد ارتباطها به اكتشفت هذا الحب .

حدّثت نفسي أن هذا ما حدث لي أيضًا .

* «سهام» .. إنك تبالغين لا شك في ذلك .

- بل هي الحقيقة .

* الحقيقة أن فاتن مخطوبة «لطارق» .. وأنت خطيبتي .. هذا واقع مؤكَد .

- قد يكون واقعًا مفروضًا علينا جميعًا .. لكنه لا يروق لنا ، وفي استطاعتنا أن نغيِّره .

* إنك تهزئين .

- إنك تتمنى ذلك .. لكنك لا تستطيع أن تُصرِّح به .

* أبدًا ..

بصوت مختنق .. ووجه تملؤه الدموع :

- تشفق عليّ .

* لا . .

- لا تخف فأنا أعذرك وأعذرها . . وغابت في نوبة بكاء مكتوم .

وتساءلت في ذهول : إلى متى يستمر هذا الكابوس الوحشى ؟ أى جنون يعصف بالحياة . . وأى حزن يعصر قلبى . . وأى مأساة تنمو وتكتمل فى سرعة مخيفة لتحكم شباكها من حولي . . وأى يأس شيطانى يمرق كالبرق ليتوثد أعمق أعماقى ، ولا سبيل للنجاة ، ولا بصيص من أمل ، ولا رجاء من أن تنداح من أمامى تلال من الركود والحزن الأبدى ، والحياة تسخر ما وسعت لها السخرية ، والقدر محتوم كحقيقة لا تقبل الجدل ، والحزن طاقة سلبيسة تمحق أى تطلُّع ، والزمن يجثم بعنف صارخ لا يتزحزح ، والنفس تروم الموت كطوق أخير للنجاة ، والمستحيل هو الاستمرار فى هذه الدائرة من الجبروت الوحشى ، وصدرى أضيق من أن يتسع لذرّة من هذا الجحيم اللا نهائى ، والحياة تجربة قاسية لا حدود لقساوتها ، وأبعد نجم عن الأرض أقرب من حد لهذا العذاب الجهنمي . والعالم من حولى يقهقه بجنون لا يطاق ، وحزن دموى نارى فاق حد الإطاقة بمليون سنة فوق عمر الأرض ، والكون على اتساعه لم تعد فيه ذرّة واحدة لم يطولها الحزن الأبدى كشيء حتمى لا تعليل له ، و . . .

أفقت من ذهولى . . ولم أجد «سهام» . . ووجدت دبلة ذهبية تلمع على مكتبى ■

احترس من الثعبان

صوت يأتيه بعيد من مكان سحيق كأنه يأتي من قاع بئر .. يصرخ فيه : احترس من الثعبان .

الثعبان يقترب منه بعينيه الغائرتين في منحنى تموّجي .. المفاجأة تحتويه .. تشل حركته . يصرخ .. يكتشف أنه لا يسمع له صوتاً . حالة من الركود تسود داخله .. يستنهض محاولات يائسة ، يدنو منه الثعبان بابتسامة عريضة .. يحييه بلباقة .. ثم يلتف حول عنقه ، ويدس فيه فمه ، وينفث سمومه

يستيقظ من نومه مذعوراً ويداه حول عنقه كأنما يقاوم الثعبان . حلم يعيد عليه طفولته . يتعجّب من نفسه . إن خوفه من هذا الحلم أضعاف خوفه من أحلام العفاريت في طفولته ، عندما كان يخاف النوم حتى لا تأتيه في منامه .

ألم يعد عنده مشاكل حتى يجعل من حلمه الصبياني مشكلة ؟! فلينس هذا الهراء ، وليتذكّر هموم الغد .

يشعل سيجارة يستمتع بدورة الدخان في رحلتها من فمه إلى أنفه عبر رئتيه ، يشعل سيجارة ثانية وثالثة .. كان الرئيس السابق فورد يعلن فيما يشبه معجزات المسيح أنه يشعل ستين سيجارة في اليوم ، فليأت وير كم أشعل أنا في اليوم الواحد . لو عاد الحق لأصحابه لكان من الأولى أن أتولى أنا الرئاسة !! يبتسم من الفكرة .. يضحك فخوراً وينام .

لم تكن الليلة التالية سوى مرآة لما حدث له من قبل . إن الثعبان يصر على مطاردته ، وهو مستسلم له ، يقترب منه ..

يلتف حول عنقه .. يضع فيه فمه وينفث سمومه ، ومازال صوت يصرخ فيه احترس من الثعبان .

يحس بألم فى صدره . أصبح صدره وعاء من الآلام .. أحس أنه لا يقدر على السير ، بل لا يستطيع التنفُس ، وفى عيادة الطبيب يكتشف الحقيقة ، فقد استشرى السم فى جسده ، ولم يعد هناك أمل فى القضاء عليه ، ينقله الطبيب إلى المستشفى ، يملى نصائحه ، يتركه ويذهب .

يجلس وحيداً يتأمل حلمه المثير ، يُخرج علبة الثعابين ، يأخذ منها ثعباناً ويضعه فى فمه فى حركة تلقائية ، يُشعل عود الثقاب .. يتذكر .. يطفئه ، يحدث نفسه : ولماذا أخاف الآن ؟! لم تعد هناك فائدة ، ولم يعد فى الإمكان تغيير ما كان ، يبتسم .. يضحك الثعبان فى فمه ، يضحك هو الآخر بصوت عال ، ينظر حوله .. لا أحد .. يواصل ضحكته المجنونة التى لم يكن يعرف أنها الضحكة الأخيرة ■

رحيـــل

للمرة المليون بعد المليون استطاع الزمن أن يُعيد نفسه ، ورغم أن المشهد يتكرر بكامل تفصيلاته ، إلا أن هناك شيئًا ما استطاع أن يكسر عادة التكرار ، وما حدث فى القرون الأولى من عمر كوكبنا الأرضى عندما رحلت حواء أم البشر جميعًا يحدث تلك اللحظة ، ولا أعرف على وجه التحديد هل سألت آدم الرحيل أم أنه قد سبقها إليه .

وسيظل العالم باختلاف طوائفه يجمع على حقيقة واحدة مؤكدة لاتقبل التغيير ، ورغم إيمان بات واثقًا فى القلب لايتزعزع إلا أننى لاأصدق !

وأشخاص حولى - أرى بعضهم للمرة الأولى - يستمرئون العمل الآلى فى خشوع متناه .

صرخت من أعماقى : القوة المطلقة لا يمكن أن تموت !

كوكبة من البشر تعقب فى استسلام :

لا إله إلا الله ، محمد مات ، والمسيح مات ، والله حى لا يموت .

منابع الدمع تفرز أنهارًا من الدموع تصدق على أقوالهم ، ودموع أخرى كثيرة مزيفة تشارك فى الحدث .

أذكر الله ، وقشعريرة تسرى فى الأبدان من المشهد المهيب .

الكلمة كالسيف تخرج من شفتيها فتصيب الهدف دون عناء ، ورفض العالم للتسليح أسهل كثيرًا من رفض مخلوق لكلمة تمتم بها .

وثمة اعتراف مؤكد من «مائير وأنديرا وتاتشر» .. أن لحظات من الضعف قد تجثو رويداً من أحلامهم ، وغير القوة لا إحساس آخر على عرشها .

هذه زوجتك !

وهذه أحلامك !

وهذه كلمات تنطق بها !

وهذه أنفاسك من لحظة ميلادك للحظة قبضتك !

أبداً لا يمكن أن يكون خوفًا . فقد أوصانا الله بها خيراً ، وتعانقت الأديان جميعًا على هذا المعنى .

ولكن ماذا يمكن أن يكون ؟ .. أيكون خوفًا ؟!!

وآدم استجاب لحواء فقطف من الشجرة المحرمة ، ولو كانت له أمًا وطلبت ما تردد .

والنداء الشرطى يعقبه استجابة ، مؤخراً أجمع على ذلك علماء النفس التعليميُّون ، ونحن بلا شك نصدق علماءنا .

يا الله وهل ماتت حقًا ؟!! .. وشرارة العين التى تبرق فى جوف الليل ؟ وصوت الرعد الذى يشق سكون الكون ؟ وكبرياء فرعونى مازال باقيًا من عهد حتشبسوت ؟

وإلامَ يطول الموت ؟ ومن ذا يهبنى إشارة التحرُّك ؟

الإرادة كالفولاذ لا تلين ، وأمام نظرتها تصبح كالماء السلسبيل .

ويومًا تساءلت زوجتى : ألست رجلاً ؟!

وبلعت التساؤل فى مرارة .

أعبد الله .. وأعمل بكتابه .. ومن ثم فلتقل زوجتى والبشر

جميعاً ما يشاءون .

- شد حيلك .. البقية فى حياتك .

لا شك أنكم تمزحون .. فأنتم لا تعرفون .

ماذا لو خلا العالم على اتساعه من البشر ؟!

ما أتعس مخلوق لا يعرف غير الله وجسد رحل ■

نداء عصفور

الماضى لازال يدفعنى إليه ، وأنا بذلك أسبح ضد تيار الزمن ، ولأنى لا أدرك ذلك فقد أقابلك وأحتضنك وأناديك بغير اسمك ، ولأنك من فرط دهشتك تصمت فأنا لا أدع لك فرصة للحديث . . أفرد صفحات الماضى أمامك وأتركك وأذهب .

في عملى لا أعبأ بشيء يشغلنى عنه ، ورغم أنى أسمعهم أحيانًا يتقولون علىّ . . فأنا أحافظ على ابتسامتى الهادئة المرحبة ، ولأنى ألتزم بمواعيد العمل وإنجازه على الوجه الأكمل ، فأنا أتجاهل ثرثرتهم فى غير شئون العمل .

أحرص على إطعام عصافيرى حرصى على تلبية نداء معدتى ، ولأنى لا أملك غيرها حلواً فى حياتى فأنا أنسى الزمن تمامًا بجانبها . . أتابعها . . أداعبها . . أحيانًا أسامرها .

فى محل العصافير . ابتعت شيئًا أطعمه لعصافيرى ، لفت نظرى بألوانه الزاهية المنسقة كجزء من الطبيعة الساحرة قبل أن يتواجد عليها الإنسان ، ولأنى أعرفه بنظراته المعبِّرة فقد احتضنت نظراتنا فى شوق بالغ ، حدثته كثيراً ، وطال بيننا الحديث أمداً غير قصير ، ولمّا أدركنى الواقع وجدت نظراتهم غير ودودة على الإطلاق ، وشفاههم ممطوطة تتساقط منها ضحكات ثقيلة توشى بالسخرية ، أحسست بالغربة ، ودّعته بعيون دامعة ، وفى الطريق تذكّرت أنى نسيت طعامهم ولازالت زقزقته فى أذنى نداء ■

سائق أتوبيس ؟

توهمت أن الحدث سقط من الذاكرة ، ولا أعرف بالتحديد لماذا عاد يحتل بؤرة الشعور ، ويعتلى قمة الذاكرة ؟ ربما ذكّرنى به ذلك الأتوبيس الذى وقعت عليه عينى بمنظره القديم الذى ربما يعود لثلاثين عامًا مضت ، فأثار داخلى شعورًا غامضًا ينهض من سرداب مجهول. بدا لى فى أول وهلة صغيرًا متناهيًا فى الصغر ، ثم أخذ يكبر تدريجيًا حتى أصبح كقرص الشمس الساطع .

ثمانى سنوات هى كل عمرى فى ذلك الوقت ، أحمل حقيبة المدرسة.. وفى ركن قصى من كوخ فوق سطح منزلنا أضع الحقيبة آخذًا رغيف الجبن الذى بدا وكأن نفسى عافته.. ثم أتسلل رويدًا من باب منزلنا الخارجي تاركًا حقيبتى.. مستردًا لحريتى. لا أعرف وجهتى، تحملنى قدماى لكل مكان لتستقر بى فى النهاية فى موقف الأتوبيس ببلدتنا، ربما لأختفى فى زحامه.. أو ربما لأن فيه من الأحداث ما يستثير مشاعرى، ولكن بقى الأتوبيس بحجمه الهائل، وصوته الرهيب، ودرجات سلمه المرتفعة، وأعمدته الفضية اللامعة، وكراسيه الجلدية، يستحوذ على لبى تمامًا، ويسيطر على حواسى، شىء باهر.. فائق الإبهار.. لا أمل النظر إليه لو نظرت إليه مائة عام ! وأصبح سائق الأتوبيس.. ذلك الرجل الفذ الذى يجلس فى الكرسى الأمامى أمام طوق دائرى ضخم يحركه يمينًا ويسارًا .. فإذا بهذا الأتوبيس الهائل يستجيب له طائعًا ، والمحصِّل ذلك الشخص الثرى الذى يجمع أموالاً لا أستطيع عدّها .. ذلك الشخص الآمر الذى ما أن ينفخ فى صفارته حتى ينصاع له السائق والأتوبيس فى الحال !!

أصبح السائق والمحصِّل مثلاً عليا ، ورموزًا لأعظم من فى الحياة.. حتى أننى كنت أتهيّب الاقتراب منهما .

وتستغرقنى المشاهد والأحداث .. أعيش داخلها فى متعة حقيقية لا تعادلها متعة ، أترقّب الرائحين والقادمين ، وتختلط الأصوات مع ضجيج الأتوبيسات الرائحة والغادية .. وعينى أبداً لا تفارق المحصِّل والسائق كأعظم من فى الوجود .

أمضغ الوقت.. ومعه لقيمات من رغيف الجبن.. وأترقّب بائع الحلوى لأشترى منه قطعة حلوى بقرش هو كل ما معي.. متلذذاً بطعم الحلوى ، أراقب حركة الأتوبيس كأسعد من فى الوجود .

ويمضى اليوم سريعاً ، ويؤذَّن لصلاة الظهر. عندئذ أعود أدراجى مسرعاً لسطح منزلنا ، أسترد حقيبتى ، وأنسل داخل المنزل .

فى اليوم الرابع عدت من رحلتى المعتادة ، وعندما دخلت المنزل .. ارتطمت بنظرات والدى الذى وجدته فى المنزل على غير العادة فى ذلك الوقت ، وعين أمي تحمل تساؤلات ملتاعة ، ولم أحتَجْ ساعتها لمن يسألنى .. كانت دموعى تسبق كلماتى .. وعصا والدى تسبق الاثنين !

وعلّل أبى ذلك بأن أمي تدللني ، وذكرت أمي أننى عندما كنت أعود من المدرسة تجد وجهى مشوباً بحمرة ! ولونى مخطوفًا ! وربما ارتابت قليلاً إلا أنها عللت ذلك بمشقة اليوم الدراسى ، ولم تكن تعلم ساعتها أن تلك هى حمرة الخجل والخوف .

فى المساء زارنا أحد أصدقاء أبى الذى دائماً ما يثير البهجة فى منزلنا وأخذ يداعب أخوتى .. ولما داعبنى سائلاً :

ماذا تحب أن تكون .. عندما تكبر ؟

أجبت على الفور : سائق أتوبيس !! ■

لازال القلب ينزف

بالأحزان امتلأ القلب وفاض ، والماضى لازال ينشر صفحاته فيطوى الحاضر والمستقبل ، والحياة هى ذات الحدث المؤلم ، والأوجاع لا تنسانى كأنها مصير محتوم .

- عزيزى القوى الضعيف .. لكل شيء آخر .

قالها صديقى بإشفاق ، ولما وجدنى ذاهلاً فى غير عالمه . أطرق فى صمت .

لما كانت الحياة على مرها لا تخلو من أمل ، فقد تمنيت أن أمتلك مركبة فضائية وأسبح بها لنجم آخر فى مجموعة آخرى غير مجموعتنا الشمسية . غير أنه ثبت علميا أن أسرع الأجسام الفضائية المنطلقة من الأرض يصل إلى أقرب نجم فى غير مجموعتنا الشمسية بعد ثمانين ألف سنة ! بالرغم من سذاجة الفكرة إلا أنها راودتنى .

الثانى عشر من أكتوبر عيد ميلاد من نبض قلبى بذكرها فى اليوم ألف مرة ومرة .. تعثّرت خطاى وأنا أدنو من باب الشقة حاملاً تورتة عيد ميلادها . ترددت قبل أن أضغط زر الجرس . على الوجه المشرق انفتح الباب .. غاب القلب فى ترتيلة حب خاشعة ، والعين بدموع الفرح تهنى ، تتعانق الأيدى ، وتصطبغ الحياة بلون وردى مبهج .

تحمل عنى التورتة ، تُفسح الطريق ، تتلقانى ضحكة ماكرة من عين الأب ، وابتسامة تتعجب القادم من عين الأم .

- كيف عرفت ؟!

صمت ونطق القلب :

- ومتى نسيت !

الحب كالحلم ، والواقع مُر كأشد ما تكون المرارة ، والقلب والألم باتا متلازمين للنهاية ، والذكرى عذابها يستمرئ القلب ، والنسيان هو المستحيل .

في العام الأول .. وعندما مضى على لقائنا عام .. همست لها :

- العمر عامٌ .. والقلب ينطق بحب ألف عام .

وتسع سنوات من الحب تمضى كتسع ثوان ..

ماذا وضع الله فيك .. حتى أحبك كل هذا الحب ؟!

وضع قلبًا حنونًا ينبض حبًا .. ويفيض سماحة ، وضع رقة تأسر القلب وتسحر الوجدان .

.. ودمعة فراق فى العام التاسع .. دمعة لازالت تحتل العين كمستقر آمن لا تبرحه .

رغم أحاديث الأصدقاء عن الصبر والنسيان ، واستشهادهم بكلمات قيلت فى هذا المعنى ، ناهيك عن الأغانى .. وكلمات الشعراء والأدباء ، ورغم إعجابى الشديد بما قيل فى هذا الصدد ، إلا أننى أحسست أنه لا يعنينى على أية حال !

محمومًا استيقظت من نومي ، فوجدت وسادتي مبتلة ، لم أتبين بالتحديد أكان عرقًا .. أم دمعًا !

قادتنى خطاى إلى النيل ، مكاننا الذى كنا نلتقى فيه ، جلست وذهلت ، السعادة تنبع من داخلنا .. حقًا ما قاله علماء النفس والأدب. نفس المكان ، وشتان هو الفرق ! .. كأنك

تـريـض فـي نعـيـم الجـنة تحـمل قلبـا فـتـيـا ينبـض بـالحـب ، أو كـأنك ميت في جنازة !

قال صديقي وهو يزوغ بنظراته عني :

- لابد أن تذهب .

كمن لدغه ثعبان . هتفت :

- لا . .

استطرد قائلاً كأنه لم يسمعني :

- الجـمـيـع ذهب ، والـواجب لا اخـتـلاف عليـه ، والـرجل فـي محنـة . .

ساقتني كلماته إلى هناك .

مسحة حزن . . مع نغمة ألم . . في نبرة حنين همست :

- ازيك . .

هل كـان الحـنان يومًـا يعني شـيـئًـا غـيـر هذا الصـوت النـاعم الآسر ؟! . . ربنا امنحنا الصبر والقوة ، فلا حول ولا قوة إلا بك .

- الحمد لله .

تمتمت بها شفتاى بلا صوت .

الإرادة لا تـعـرف المسـتـحـيل ، وشـعـاع عـينـيـهـا النافـذ يسـحق إرادتي . هو الحب عندما يتعدى كل مراحله . . ليحتل أعلى قـمة فوق السحاب .

من بين الأهداب ، وفي ركن قـصـي من عـينـيـهـا ، وجـدت الحب قابعًا . . مطوقًا بأغلال من نظرات الأهل .

- منذ متى لم أرك ؟!

منـذ مـتى غـاب الوعي . . وتاه العـقل . . وسـقط القلب في

أعماق اليأس ؟! .. وإلام يطول الليل كواقع لا مفر منه ؟!

- أمازالت حلوة كما هي ؟!

نظرت في ذهول متسائلة :

- عيناك !

.. هل تصدقي ؟! صمدت أمام كل شيء ، وانهزمت أمام عينيك ! لم أقاوم .. سلمت وأذعنت .. كأني أمام قوة عظمى جبارة لا قبل لي بها . وأنا الأعزل .

في نصف انحناءة وضعت صينية يتوسطها كوب من العصير .. حملته في خجل :

- تفضَّل .

أحسست بخفقات قلبها .. أعرف هذا القلب .. لازال وقع ضرباته في سمعي ، عندما كنت أتوثد صدرك الحنون وأغفو ، وأناملك الرقيقة تعزف على خصلات شعري في حنان ، تحوطني أنفاسك بعبيرها الآسر .. الساحر ، وكلمات تذوب في دموع عينيك .. لازال رحيقها في أنفاسي : أريدك أنتَ دون البشر .. أنتَ حقي . أفلا أستحقه ؟!

فهل كانت السعادة تعني غير هذا الإحساس ؟! .. هل نسيتِ .. أم تناسيتِ ؟ أم كان الأمر كله حلمًا جنونيًا خاطفًا كنجم يلمع ويختفي ؟!

- تفضَّل ..

كررتها ثانية في ارتباك .

بأنامل مرتعشة .. أحمل الكوب من يدها .. دبلة ذهبية تحتل إصبعها .. أتأملها في ذهول !

نظرة العين لا تكذب ، وألم فاق حد الإطاقة يعصر القلب فى قسوة .

كجراحة فى القلب بلا بنج :

- مبارك .

تمتمت فى خجل :

- عقبالك .

هتفت مذعوراً :

- لا .. قولى : البقية فى حياتك !

فى ارتياع :

- من ؟!

فى انكسار :

- قلبى ..

تسقط نظرتها على الأرض .. وتصمت .

ويطول الصمت بيننا كغيبوبة أبدية .. والصحوة حلم أبعد من الخيال .. والأمل فى الاستيقاظ يوم البعث !

وحتّام يمتد العذاب بلا نهاية ؟! ودوامة من الغموض تحتوينى بلا هوادة ، وسحب سوداء كثيفة تحجب الضوء ، والشيء الوحيد المتاح هو المستحيل ! .. واللون الوحيد هو الأسود ، وغير اليأس لا يكون إلا الموت ، وجميع الاحتمالات تنتهى لاحتمال وحيد هو السقوط ، والبديل لا يكون إلا فى اختيار كوكب آخر غير الأرض ، وفؤادى لا يمل البكاء ، وينابيع الحنان تستعذب الدمع فى سعادة بلا حدود ، والحب آهة مكتومة تدق جدار المستحيل ، والحقيقة أنه لا شيء مؤكد ، والغموض

أقسى من الموت ، والحيرة نصل حاد يشق القلب بلا رحمة ، والعذاب لا يعرف غيرى بشرا على الأرض ، والكون يضيق ويسود .. كرداء أسود خلف ثقب باب ، والجنون يزحف بسرعة الضوء ، ولوثة العقل حل أمرٍ من الموت ، والإرادة تنهار ، والعزيمة تخور ، وكل شيء يهوى وينحنى أمام قدر لا يعرف الانحناء ..

قطع غيبوبة الصمت رنين التليفون . رفعت السماعة :

- ألو . أهلاً خالد .

ومن نظرة عينيها .. تيقَنت أنه خطيبها . لملمت أشلاء كرامتى ، وحملت رفات قلبى ، وصرخة بلا آخر تتوه فيها خطواتى .. وأنا أعدو خارج المنزل ■

ذات البكاء المكتوم

نشرت بجريدة المساء
فى ٢٦ مارس عام ١٩٨٩م .

لا أعرف على وجه التحديد . منذ متى بدأ قرص الشمس الأرجواني يسحب أشعته المتوهجة ويواريها عن مساحة الرؤية المنبسطة أمام ناظرى ، ولا متى أصبحت السماء مجدبة من النجوم .. حتى القمر بدا كنقطة ذابلة غير مألوفة في صفحة سوداء كابية .

لكننى تنبّهت فجأة أن الحزمة الضوئية الواهنة بدأت تتجمّع في شعاع واحد .. أخذ ينضب في سرعة مذهلة حتى جف تمامًا ، وبدا كشيء بلا حدود .

أيقنت ساعتها أننى لا محالة أواجه مصيراً أسوأ من الموت .. وهل كان الموت إلا راحة لشقاء بلا حدود .. وأين هو منى الآن ؟ والقلب ينبوع خالص من الإيمان ، وهو على يقين بأن «لكل أجل كتاب» وبهذا المعنى الذى لا يحمل أدنى شك كان يمدنى بأسباب الحياة .

قنعت من الحياة بنبضها الذى أسمعه كأزيز لا ينقطع وبت أفسِّر فحوى الأشياء من حولى بنبراتها ، لكن هزنى منها نبرة واحدة حنون في القلب تسكن في هدوء .

والعالم يموج بأحدث اكتشافات العلم ، والعقل لا يكف يومًا عن البحث والتنقيب ، وسر الله فى خلقه يتجلى بوضوح فى آيات بيّنة مؤكدة ، وثمة أشياء تؤكد أن الأمل غير مفقود .

والاختيار صعب ما فى ذلك شك .. ولكن ليس هناك سبيل للتراجع ، فالأمل معقود والعزم لا يلين .

«أتخشى الموت ؟ فهل جربت الحياة ؟!» رددها العقل فى لحظات الصراع الدامى حتى انتهى إلى أن الموت أهون من التراجع ، والدموع من حولى كثيرة .. لكن من بينها دموع حارة لا تنضب . معها أحسست بالذنب . استصغرت عذابى ، واستكبرت عذابها المميت .

فى حجرة العمليات كانت هناك حركة غير عادية ، وفريق من الأطباء يؤكد أن العملية هى الأولى من نوعها ، وأن ما سبقها من عمليات قد مهّد الطريق إليها ، ويؤكد أيضًا أننى حقًا على قدر غير محدود من الشجاعة إذ أقدمت عليها ، وعلّقت أنا بأن إيماني أسبق من شجاعتي وأنه هو وحده الذى قادنى إلى هذا المكان . وتناهى إلىّ أصوات كثيرة .. ولكن من بينها كان الصوت الحنون صوت بكاء مكتوم ودموع كثيرة ، وتملّكنى شعور بأننى غير موجود ، وأن العالم يتقوّض من حولى ، ويتحول إلى ذرات غير مرئية تذروها الرياح ، ومضى وقت لم أتبيّنه على وجه التحديد .. قبل أن يفك الطبيب رباط الشاش.

أحسست أن الحزمة الضوئية تتجمّع .. تلتئم .. تكبر بصورة هائلة كأنها تنبعث من جديد .

ما أحلى النور بعد الظلام ! بدا لى وجه الطبيب أمامى شاحبًا .. قلقًا .. مترقّبا . في حركة لا إرادية تلفّت لأجد ذات البكاء المكتوم .. «أمى» وتلاقت الدموع !! ■

العجوز والكلب

بملامح كلها حدّة وصرامة ، وبخطوات متلاحقة ، يرفع يديه المرتعشتين ويهوى بعصاته فوق المسكين المستسلم .. ويرتفع العويل .. ويعلو الصياح وترتفع العصا من جديد .. ويختلط عويل الكلب مع صياح العجوز .. وتستمر المعركة غير المتكافئة ولا تنتهى حتى تخور قوى العجوز فتقع عصاه من يده .. ويهوى ملقيا بنفسه على أقرب مقعد .. وينتهى عويل الكلب ويحل محله أنين مكتوم .

يهدأ العجوز .. ثم يقف فجأة ليلقى نظرة نارية على المسكين الممدد أمامه .. ثم يتجه إلى الداخل ويعود ممسكًا طبقًا كبيراً مليئًا بالطعام ليهوى به أمام المسكين . ينسى المسكين آلامه وأوجاعه وينهض من مرقده فى همة ونشاط ويلتهم ما قدم له العجوز حتى تنتفخ بطنه .. ثم يتحرك بسعادة ناحية العجوز يتمرّغ عند قدميه .. يداعبهما .. ويتمسح فيهما معبّراً عن مزيد امتنانه .. وعن بالغ سروره .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه علىّ فى كل وقت ..

لماذا يضرب العجوز الكلب بكل هذه القسوة ؟! هل يخطئ الكلب ؟

.. ربما ؛ ولكن أى خطأ هذا الذى يدفع العجوز لأن يعاقبه بكل هذا الكم من الضرب المبرح ؟! على أية حال لقد اكتشفت بعد ذلك أن العجوز لا يحتاج إلى سبب مقنع حتى يحمل عصاه كل يوم وينقض بها على كلبه المسكين .

ولكن ما الذى يدفع المسكين لأن يتحمل كل هذا الظلم وهذه القسوة وأمامه الباب الخارجى مفتوح على مصراعيه فى أوقات كثيرة ؟! هل هو حبه للعجوز ؟ أشك فى ذلك .. فأى حب هذا الذى يدفع المسكين لأن يتحمل كل هذا التعسف وينسيه الإهانات المستمرة التى يلاحقه بها العجوز ؟! لا ليس حبا .. ولكن على أى حال ربما تكون الوجبة الشهية التى يقدمها له العجوز ترضى كبرياءه وتنسيه ما فعل العجوز به .. إننى أتعجب حقا فرغم قسوة العجوز على المسكين إلا أنه يفرط فى تقديم وجباته الشهية له .. فهو حقا لا يبخل عليه قط بطعام أو شراب .

إن العجوز رغم مرضه الذى يقعده عن عمل أبسط الأشياء الضرورية له .. إلا أنه لا يقعده عن قضيته الكبرى وهى كلبه المسكين . إنه لا يكل كل يوم عن ضربه وإطعامه !!

لكن العجوز فجأة قعد ولم يستطع القيام . وعندما زاره الطبيب فى ذلك اليوم أمره أن يلزم فراشه عدّة أيام واستسلم العجوز لأوامر طبيبه واستلقى فى فراشه بلا حراك حتى تروب الأزمة وتعود الأمور على ما كانت عليه

ونسى العجوز كل شىء ولكنه لم ينس كلبه . فقد كلفنى العجوز أن أعد وجبة الكلب بدلاً منه وأقوم بتقديمها له . وكانت المرة الأولى التى يتغيب فيها العجوز عن أداء مهمته مع كلبه .. ورغم حزن العجوز الذى كان باديا على وجهه وهو يأمرنى بأن أعد الطعام لكلبه إلا أننى كنت سعيدا بذلك لأنها ستكون المرة الأولى التى يتناول فيها الكلب وجبته دون

ضرب .. وكم تخيلت سعادة الكلب بذلك .. ربما لا يصدق فاليوم أكل فقط دون ضرب أو تعذيب .. يا لها من سعادة حقًا تلك التي سينعم بها الكلب اليوم ، وضحكت عندما تخيلت أن مرض العجوز قد يكون بسبب دعاء الكلب عليه .

أعددت طعام الكلب بعد أن أصر العجوز على أن يراه بنفسه قبل أن أقدمه لكلبه .. وتقدمت نحو الكلب حاملاً طبقه المخصص له والذى يحتوى على طعامه .. وفى رفق وضعته أمامه وربت على ظهره وأنا أقول له : هنيئًا لك اليوم أكل بلا عصا .

ووليت ظهرى له ووقفت بعيداً حتى أرى سعادته وهو يلتهم طعامه .. لكن ما أدهشنى حقًا أن الكلب بعد أن تقدم نحو الطعام أخذ يتحسسه بأنفه .. ثم وقف أمامه لحظات وابتعد عنه وقبع فى مكانه .

ما هذا أيها المجنون !! إن الطعام اليوم أكثر من كل يوم .. وقد أعددته بنفسى وأشاد به العجوز .. فما الذى جعلك تبتعد عنه ؟!

يبدو أن المعروف لا ينفع معك .. والطيب لا يدوم مع أمثالك . على أية حال .. أنت حر فلن أسأل فيك ، أمامك الطعام والشراب ويكفى ما أضعت من وقتى .. وتركته وذهبت وقصصت للعجوز ما حدث منه .. وصمت العجوز ولم يعلّق بشىء .

وفى اليوم الثانى تكرر ما حدث من الكلب .. إنه يصر على موقفه برغم أننى عنيت بطعامه وضاعفت كميته كى أرغبه فيه .. ولكنه لم يعرنى حتى اهتمامه .. ولم يتحرك من مكانه

وظل قابعاً فى صمت ويأس .. وأنا مذهول من أمر هذا المعتوه الذى يرفض نعمة قد يتعارك من أجلها أقرانه .. ومضيت أقص للعجوز ما حدث من أمر كلبه . عندئذ طلب منى العجوز أن يستند إلىّ .. وقام من فراشه ورغم أننى مانعت فى بادئ الأمر محذِّراً إياه ومذكِّراً بأوامر طبيبه إلا أننى خضعت له أمام إصراره .. وأمسك العجوز بعصاه وأمسكت بطبق الطعام وتقدم نحو الكلب .. وجرى الكلب إليه وأخذ يرقص حوله فى حركات هستيرية .. ورفع العجوز العصا بيده البالية .. وهوى بها فوق الكلب .. والكلب يعوى والعجوز يصيح .. وتساقطت دموع العجوز لتختلط بدموع الكلب وضحك العجوز .. وضحك الكلب ■

أشجان

زلــزال :

عـمره عامان . وُلد كبـيرًا ، وأخذ يصغر مع الأيام . ذاك هو جرحى ، ولكن هل التئم تمامًا ؟ حقاً لا أعرف .

عـايشـتـهـمـا في لحظة واحـدة . . زلزال أكـتوبـر المريع وأنا فى أحد أبراج النيل ، وبالتحديد في الدور التاسع والعشرين ، حيث كنت أقوم بتنفيذ أعمال الديكور لشـقـة أحد رجال أعمال هذا الزمـان ، وكـان مساعدى فـرغلى يقف على حافة أحد النوافذ ، وفى لحظة رقص البرج على صراخ من فيه ، ووجدت فرغلى يقفز فـوق كـتـفـى . . وأنا أعـدو مـهـرولاً بين لحـم البـشـر ، لـكن زلزالاً كـان يدق القـلب مـتـزامنًا فى نفس اللحظة وأنا أتخيلنى ميـتًا بعـيـداً عنهـا ، فلحظة الميـلاد ولدت بين يديهـا . . والعـمـر كله أسير عينيها .

توقـفت أنفـاسي . ولـم تعـد إلا وأناملهـا الحانيـة تمسح على جبيـنى ، لحظتها فقط صدقت أنى حى ، بريق من الحب يسبح فى زرقـة العين ، يخـطـف القـلب ، وتتـحـول الحـيـاة كـلهـا لسـحـر غامض حالم .

اعتراف :

والقلب يعترف أن نبضاته دفقات من الحب تدفع عشقك إلى كل خلايا الجسم بها فقط يعيش ويحيا ، والضـمير يعتـرف أن حبك جعل القلب سـكـنًا لكل حب البشر ، والوجدان يعترف أن

حنانك أمد الضمير بينابيع العطف والخير والشفافية ، وأعترف أن نظرة عينيك قد شكّلت القلب والضمير والوجدان ، فأصبحوا مرآة للحب تعكس نقاءه وصفاءه ، ورقته وعذوبته ، وأعترف أنى أسير عينيك .. سعيد بأسرى ربما أسعد أسير فى هذا الكون .

وأعترف أنى ما حييت أحبك .. وأن حبك شيء خارق .. هادئ .. عنيف .. لذيذ .. هائل .. دافق .. كنبع الحياة .. كسر الطبيعة .

حلم :

فى أحد مقاهى الحسين . جلست أحتسى الشاى ، وأشرب النارجيلة مع صديقى الطبيب . ساعتها ذكرنى الحسين بنجيب محفوظ . تمنيت عمرى كله أن أراه فى الواقع . أسمع صوته الرخيم ، وضحكته المجلجلة التى أحسبها لا تنتهى .

صديقى الطبيب يشاركنى أشجانى فى الحياة . أحيانًا أتحدث فيسمعنى ، وأحيانًا أصمت فيفهمنى ، تبادلنا نظرات الملل ، فقمنا نتسكع فى أزقة الحسين بلا هدف . فى لحظة وجدته يأتى من بعيد متأبطًا فى أحد ذراعيه سيدة ترتدى سراويل من الچينز ، وقميصًا فضفاضًا ، وحذاءً خفيفًا . خطواته ثابتة . قامته شامخة . ملامحه مهيبة .. وهو يرتدى نظارته السوداء . هتفت من أعماقى : نجيب محفوظ . تطلّع إلىّ . توقفت غائبًا عن الوعى .. ومددت يدى . أمسك يدى بقوة .

- أستاذ نجيب .. إزيك .

* أهلاً وسهلاً ..

وسرت فى الهواء ذاهلاً .

بعدها سمعت له حديثًا مسجلاً بعد نوبل . ذكر فيه أنه يتمنى أن يسير فى حارات وأزقة الحسين . وحقق الرجل أمنيته فى نفس اللحظة التى حققت فيها حلمى ! سبحان الله ..

كنت أقص لها الحدث للمرة المائة بعد المائة . فتسمعنى بشغف ، وتسعد لسعادتى ، وتضحك كالأطفال .

فـــراق

فسيح كالكون قلبى .. يستعذب الحب والألم .. ينبض بحنان دافق بلا حدود .

دموعها صافية .. نقية كأصدق ما فى الوجود .

وقلب ينبض بحنان دافق .. ودموع صافية نقية .. ولحظة من عمر الزمن تشع بصدقها على الكون ، وحرارة الكلمات .. والنبرة الحنون .. وبريق العيون .. ودقات القلب التى أتسمعها من الأعماق .. وحنين وحنان .. وشىء جديد فاق الوصف بمليون وصف .. ومعني مختلف عن المعانى بكل المعانى .. ولحظة تصوّف كاملة .. كل شىء فيها يذوب صادقًا صافيًا عذبًا خالصًا نقيًا كقلب طفل وليد .

والحب كيان وقوام ومظلة لقلبين ذابا واختلطا حتى ليصعب عليك التفريق بينهما . فقد تاهت العلامات ، واندثرت الملامح ، وأصبح هناك قلب لا قلبين ينطق بالحب ، ويصمت بالحب ، ويسكن بالحب .

فى فمى سقطت دمعة كبيرة سالت على خدها ، فأخذنى طعمها المالح ، وسقطت آخر محاولاتها فى المقاومة ، واستسلمت ، وجاءنى صوتها على الهاتف فلم أميِّزه ، كأنك تستمع إلى مواء قطة مذبوحة ، وحملت جبنى وضعفى وسرت بلا قلب .. بلا هدف .

ذكريات :

فى أحد مقاهى الحسين . جلست أحتسى الشاى ، وأشرب النارجيلة بدون صديقى الطبيب الذى رحل مغلوباً على أمره إلى أحد بلدان الخليج مرافقًا لزوجته المدرسة المعارة إلى هناك . شخصت ببصرى إلى عمق الطريق .. تذكرته فى شموخه وهدوئه وسماحته ويده الرقيقة الحانية تقبض على يدى فى قوة. وسعادة الدنيا تملأ عينيها وأنا أقص عليها حكايتى، فتأخذ رأسى فى صدرها.. حتى كأنى أتوسد أعمق أعماق قلبها .

حنين جارف لحب ملأ القلب والعقل ، وفاض على الوجدان من دفئه وحرارته . إلامَ تطول ساعات الوحدة والعذاب ؟! والذكريات تطل فتنكأ الجرح وتثير الشجون، وأوجاع القلب بلا حدود، والنسيان منتهى الأمل.. كحلم بعيد المنال ، والحياة دوامة تلتهم سنوات العمر بلا رحمة .. لكن القلب أسير الذكرى.. رغم تقدم العمر .. ورغم مرور الأزمان شيء كالسحر يشدنى للماضى كزورق يندفع بسرعة جنونية ضد الأمواج ، وحتّام تستمر الحياة فى الاتجاه العكسى ؟! وهل من أمل فى

النجاة من أعماق الماضى؟ ما أقسى تجربة الألم ، عندما تطول فتأخذ العمر بأكمله ، وآه من ألم القلب ، ومن عذاب النفس . رحمتك يا إلهى فالعون لا يكون إلا منك . قد أخطئ التمييز بين الليل والنهار ، والشمس والقمر . لكنى لا أخطئ أبداً نظرة عينيك يوم الفراق . حب وحنين وعذاب . وسيبقى السؤال أبد الدهر : لماذا حدث ما حدث ؟! وتتمخض الإجابة عن لاشيء سوى أن العذاب قدر ، والألم نصيب . فسبحانك ربى تجلت حكمتك ، وتعالت مشيئتك .

أقف ذاهلاً ، وأترك ورقة بخمسة جنيهات على المنضدة تلمع عليها دمعة سقطت سهواً من عينى وأنا أنهض واقفًا ، وأمضى ومعى ذكريات جرح ومحفوظ وصديق رحل ■

الفهرس

من قائمة الإصدارات
رواية - قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقًا	أحمد عمر شاهين
الثلاثية الروائية	د. أحمد إبراهيم الفقيه
الهاجس	أحمد بدران
ظل باب	أحمد محمد حميدة
وقائع غرق السفينة	إدريس علي
واحد ضد الجميع	إدريس علي
المبعدون	إدريس علي
صخور السماء	إدوار الخراط
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
يقين العطش	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
متى تتزوجني ؟!	أشرف خليل
حذاء السيد المنسي	أشرف العوضي
عندما تبيض الديوك	أمجد صابر
لا أحد يحبك	أماني فهمي
همس العاشقين	أمين بكير
حكايات من دفاتر النسوان	أمين بكير
ألم يخلقها الله امرأة	أمين العزب
مأساة أسرة	أمين العزب
الخيول الشاردة	بهي الدين عوض
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
تكوينات الدم والتراب/الخروج عن النص	د. جمال التلاوي
المتعبون	جمعة محمد جمعة
دموع إيزيس	حسني لبيب
بالمقلوب	د. حمدي عودة
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيري عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب أطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
التوهمات	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
في لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا ونورا وماعت	رفقي بدوي
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
تائهون في الحياة	سعدية البياني
شهقة	سعيد بكر
حبيبي يا ناس	سليمان كابو
قطار الساعة ١٢	السيد الشوربجي
أيام هند	سيد الوكيل
كف مريم	سعيد سالم
سفر الموت	شاطبي يوسف ميخائيل
الممنوع من السفر	شوقي عبد الحميد
أيام الغربة الأخيرة	صالح سعد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
الخرابة	د.عبد الرحيم صديق
الغربان لا تختفي أبدًا	عبد الفتاح صبري
جسد في ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلي	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحد	عبده خال
آخر ما قاله النهر	عز الدين الأسواني
صعيدي صنح	د. عزة عزت
في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيري
سراديب	عفاف السيد
إينارو	د. علي فهمي خشيم
حكاية الشمردل	عمار علي حسن
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
جنية الشفق (قصص شاعرية قصيرة جدًا)	د. فاروق أوهان

العنوان	المؤلف
البحر يغرق	[illegible]
وجهها وطن	فاطمة يوسف العلى
تاء مربوطة	فاطمة يوسف العلى
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
شفيقة .. وسرها الباتع	فواد قنديل
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الفتيت المبعثر	محسن الرملى
المينا الشرقية	محمد جبريل
مد الموج	محمد جبريل
الخرابة ٢٠٠٠	محمد الشرقاوى
كوميديا الانسجام	محمد بركة
طوفان النار	محمد حافظ صالح
الدكان	محمد سليمان
تل المعافرة	محمد شاكر
أشياء لا تموت	محمد صفوت
وداع لم يتم	محمد صفوت
الحاج	محمد عبد السلام العمرى
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمرى
حبال من رمل	محمد علي سعد
لوحة ممنوع	محمد علي سعد
حريم .. (أعزكم الله)	محمد الغربى عمران
ضمائر فى قفص الاتهام	محمد فتحى
الرقص فى أكفان الموتى	محمد فتحى
الخروج إلي النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين
يا عم يا جمال	محمد الناصر
الحياة الذروة	د. محمد نعيم شريف
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
أخى البغل	مكرم فهمى
اختزال في المسافة والسفر	محمود الورواري
الضياع وجبل الأوهام	ممدوح القديرى
الهبوط إلى الجنون	ممدوح القديرى
الهروب مع الوطن	ممدوح القديرى
فوق لهيب الشموع	ممدوح القديري
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
دم الأبنوس	ناجي الشكري
ويصدأ ماء النهر	ناصر الهلابي
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
الدائرة	د. نجدي إبراهيم
حكايات مصرية	د. نجدي إبراهيم
أنا السلطان	د. نجدي إبراهيم
قمر أخضر	نهلة السوسو
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
أيام زمان .. أين أنت ؟	د. هشام قاسم
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
وانهار الدب الأحمر	ياسر عبد التواب
فرد حمام	يوسف فاخوري

أدب مترجم

أنا كنده — أوراثيو كيروجا — ترجمة : رزق أحمد

تحولات الجحش الذهبي أبوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم

الحواس — أتالو كالفينو ترجمة محمد عيد إبراهيم

الهايكو - رحلة حج بوزية — ترجمة محمد عيد إبراهيم

زهرة الصيف كينزا بوروادى وآخرون ترجمة نجاح سفر

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية ؛ شعر .. دراسات .. ونقد
وكتب متنوعة : سياسية ، قومية ، دينية ، معارف عامة ، تراث ، وأطفال .
خدمات إعلامية وثقافية

الآراء الواردة فى الإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز



متى تتزوجني؟!

آه يا زمانًا ولّى ولن يعود .. وأنت عندما تستعيد الذاكرة ، فأنت دومًا لا تفعل إلا أنك تسترجع كلمات هى أعذب ما تحوى الذاكرة .

هل استشعرت جمالك وعظمتك ؟
هل استشعرت أهمية وجودك ؟
وأنك أهم ما فى الحياة ؟ ..
إذًا فأنت تملك قلبًا يحبك .

والعذوبة ابتسامة تشرق من العين قبل أن ترتسم على الشفاه ، والسحر جمال كامن وراء نظرة صافية ، والفتنة براءة طاغية ، والقلم قد يعبّر بصدق عن كل الأشياء ، وعندها يقف على الورق عاجزًا خجلاً ، فالمشاعر من فرط حرارتها لا تعبِّر عنها الكلمات ، ونبضة القلب الصادق ، مجلدات تحوى كلمات العالم قد لا تعبِّر عنها ! .. لا تنقل صدق الحدث كما وقع.



